



إبارةشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات مارس ٢٠١٦

أبنائي الأحباء،

سلام ونعمة.

ونحن نستكمل رحلتنا نحو الدرجة العاشرة من كتاب "السُّلم إلى الله" – عن الوقية – أود أن نتأمل في كُلِّ من أفعال مُرتكب الوقية وردود أفعال الذي أرتُكبت في حقه الوقية، ولنفحص كليهما من منظور المحبة والصلاة.

يتحدث القديس يوحنا الدرّجي عمَّن هو أسوأ من "فتيات يفعلن الشر بلا حياء" (١)، وهن أولئك اللاتي "يتظاهرن بالاحتشام ويعملن في الخفاء أعمالاً أشر من أعمال الأوليات: وهكذا الحال مع الأوجاع المخزية. هؤلاء الفتيات هن: الرياء والخبث، والاعتماد، والحقد، والوقية التي تنبع من القلب؛ تدعي أنها تقصد شيئاً، إلا أنها تهدف إلى شيء آخر" (٢). فإن لم تكن متيقظين، فسوف نجد أن فعل النفاق هذا من الممكن أن يتسلل إلى الكثير من سلوكياتنا – وإذا لم تكن أفكارنا منشغلة في المقام الأول بالمحبة والعبادة، نكون مخدوعين ولا نغد نسير في الطريق الضيق الذي عزمنا على السير فيه منذ البداية.

دعوني أوضح كيف يكون هذا ...

من أين تأتي الوقية؟

وفقاً للدرّجي: "الوقية هي نتاج المقت" (٣)، وبما أن المقت هو عكس المحبة، فكيف إذن ندعي أننا نحيا حياة الصلاة إن كنا نُشوّه سمعة أخاننا/أختنا؟

ربما في بداية تكريس حياتنا لله، لم يكن هناك مكان في قلوبنا لأي شيئاً آخر إلا محبته ومحبة الآخرين والتضحية من أجلهم. لقد أحببنا الله، وبخدمتنا له أحببنا أخواننا/أخواتنا، "مُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ" (٢ كو ١٠: ٥)، لأننا كنا نشعر وكأننا وقوف في حضرة الله في كل حين. ومع الأسف، بمرور الوقت بدأت الأشواك التي فينا في الظهور، وبدأت المحبة في التَنَجِّي جانباً لِنُفسح المجال للبيغضة، وبدأ فكرنا البسيط ينشغل بأشياء غير تلك التي أمرنا بها. "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِينِكَ مِثْلَ نَفْسِكَ" (لو ١٠: ٢٧). وبالتالي، فالقضية هنا ليست الوقية فحسب، بل القضية الأكبر هي الانحراف عن هدفنا.

إذا ما وجدنا أنفسنا نغتاب بعضنا البعض، يجب علينا أن نتوقف على الفور، ونفكر فيما إذا كان ما نفعله يحسُن في عينيَّ الله. أسأل نفسك: لو أن ربنا يسوع المسيح كان هو الشخص الثالث في هذه المحادثة، فهل سوف استطيع الاستمرار فيها؟

"سمعت البعض يغتابون قريبهم، فويختمهم. فأجابني فاعلو الشر مدافعين عن أنفسهم بقولهم إنهم يعملون هذا العمل من تلقاء حيمهم واهتمامهم بمن يغتابونه. فقلت لهم: "كنفوا عن مثل هذا الحب، وإلا فأنتم تُكذِّبون القائل: «الَّذِي يَغْتَابُ صَاحِبَهُ سِرًّا هَذَا كُنْتُ أَطْرُؤُهُ» (مزا ١٠: ٥)» فإن كنت تحبه كما تقول، فصلِّ من أجله في الخفاء، ولا تثلبه. لأن هذا هو نوع الحب الذي يقبله

(١) القديس يوحنا الدرّجي، السُّلم إلى الله، الدرجة العاشرة: الوقية (دير السيدة العذراء – السريان، ٢٠٠٩) ص ١٦٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٦٢.

(٣) المرجع السابق ص ١٦٢.

الله^(٤). أؤكد لكم يا أحبائي، أنه بينما أهدنا بهدر الوقت في اللغو والحديث عن الآخرين، هناك آخر يزداد قُرباً إلى الله في الصلاة. "النار غريبة عن الماء، وكذلك إدانة الآخرين غريبة عن يريد أن يتوب"^(٥). وبالتالي، فاتركوا الأمر لله يا أحبائي، واستعيدوا تركيزكم على الهدف الأسى الذي تَسْعُونَ نحوه.

"مَرَّتَا، مَرَّتَا، أَنْتِ تَمْتَمِينَ وَتَضْطَرِينَ لِأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرَّتَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا" (لو ١٠: ٤١-٤٢)

انتم في علاقتك مع الله يومياً من خلال الصلاة وفهم الكتب المقدسة – لا تهدر وقتك في الأحاديث غير النافعة عن الآخرين – ولو كان الأمر يؤثر بشكل مباشر على علاقتك بأخيك/ أختك فتحدث معه/ فتحدثي معها مباشرةً لأن "التوبيخ الظاهر خيرٌ من الحب المستتر" (أم ٢٧: ٥). ومع ذلك، أحتكم أن تكونوا أمناء مع أنفسكم ومُتنبّهين لنواياكم – إذا وجدت أن رد فعلك نابع عن عدم إحساس بالأمان في داخلك، أو من الغضب، أو الحسد، أو الغيرة فأدع الله قائلاً: «يَارَبُّ، نَجِّنِي!». (مت ١٤: ٣٠) والتزم الصمت من أجل خلاص نفسك وخلاص الآخرين.

أما أنت يا من تعرضت للوقية ولم تقبلها – ماذا حدث لاستعدادك لاحتمال بصبر وصمت؟ كيف هربت منك بسرعة تلك الرغبة لحظة سماعك ما قيل عنك؟ لقد كنت مسرعاً جداً في الأخذ بالثأر والدفاع عن نفسك، ومُبتطناً في احتمال بركة الإهانة، و الصلاة من أجل الآخر.

"لأنه من كان يظن أنه تائب، ومع ذلك يحاول أن يرد على الشخص الذي أدانه – بالصواب أو بالخطأ، فهو غير مستحق لنعمة الغفران. بما أنه يتصرف وكأنه يسعى للحصول على فرصة لتبرير نفسه في جلسة محكمة، أملاً في تحقيق ما يريده من خلال إجراء القانون. مثل هذا السلوك مخالفاً تماماً لوصايا الله.

وبطبيعة الحال، فإن حاول أحداً أن يبرر ذاته فإنه ينشد حقه المشروع وليس محبته للآخرين. وفي مثل هذه الحالة لم تعد النعمة هي المبدأ الذي نسترشد به – النعمة التي يتبرر بها الفاجر بدون أعمال البر (قارن رومية ٥: ٤)، ولكننا ننالها بشرط أن نكون محتملين بصبر، مُمتنين، و شاكرين لمن يوبخنا، مُحلّين بالجلد، غير حائقين على الذين يشتكون علينا. بهذه الطريقة تصبح صلواتنا نقية وتوبتنا صادقة. لأنه كلما داومنا على الصلاة بنقاوة من أجل الذين يشتكون علينا كلما سوف يعطي الله السلام لنا ولن يحمل عداوة تجاهنا"^(٦).

أحياناً، يبرر من يُرتكب في حقه الوقية غضبه بادعاء التنفيس عن مشاعره/ مشاعرها، لكيما يحصل على السلام الداخلي. ولكني أسألك: إذا كنت مستاءً لكونك أهدت، لماذا إذن تقابل الإهانة بالإهانة؟ إذا لم تستطع التحمل في صمت، فالجأ إلى الصلاة بدلاً من أن تسمح للتوتر أن يتصاعد، وتحدث إلى أخيك/ أختك "صَادِقِينَ فِي الْمُحَبَّةِ" (أف ٤: ١٥) واشركه في مشاعرك: وإذا ما نوقش الأمر معك صراحةً، ووجدت أنك بالفعل مخطئاً، فلا تدّعي السذاجة، بل كن شجاعاً واعترف بخطأك.

إذا شعرت أنك مُضطّهد ولم يكن هناك فرصة لمناقشة الأمر، فانتبه هذه الفرصة المباركة لتنمو - "بمقدار ما تصلي من أجل النمام، يكشف الله أمرك للذين سمحوا بالتجارب"^(٧).

نعم، فإنه "ليس من ألم يصعب على النفس احتمال كالتنميمة. ولا أحد يمكنه غلبتها إلا إذا كانت عيناه على الله كسوسنة. فالله وحده يقدر أن يحرق الناس من الأوجاع كما فعل لسوسنة، وذلك لكي يعلن الحقيقة للبشر بإقناع، كما حصل مع تلك وهكذا ترتاح النفس بالرجاء"^(٨).

(٤) القديس يوحنا الدرجي، السُّلَّم إلى الله، الدرجة العاشرة: الوقية (دير السيدة العذراء – السريان، ٢٠٠٩) ص ١٦٢.

(٥) المرجع السابق ص ١٦٣. (٦) القديس بطرس الدمشقي، خزائن المعرفة الإلهية (من الفيلوكاليا)، مترجم من الإنجليزية.

(٧) القديس مكسيموس المعترف، المثنويات الأربع للقديس مكسيموس المعترف، ترجمة: الأب منيف حمصي (بيروت: مطبعة دكاش، ١٩٩٢) ص ٨٨.

(٨) المرجع السابق ص ٨٨.

وأخيراً، إن كان لديك ميولاً للنميمة، أو إن تكلم عليك أحداً بالسوء، فتذكر أن: "قد أعطيت لنا الأذان، لا لنستمع للنميمة أو للتفاهات، بل لسماع كلام الله، ولأي صوتٍ - سواءً كان من البشر، أو الطيور، أو من أي شيءٍ آخر - يقودنا لتمجيد الخالق" ^(٩). إذن، توقف واجعل تركيزك فيما يفيد.

كن مثلاً صالحاً يُحتذى به. ربما يساعدك التقليل من شأن الآخرين على تحقيق ما تريد على الأرض، ولكن تذكر أنه في يوم ما سوف يستوجب عليك أن تُعطي حساباً أمام عرش الله الديان (مت ١٢: ٣٦)، "افعل الخير لمن يُسيء إليك وسيصبح الله صديقك. لا تُسيء إلى عدوك أبداً. تدرّب على محبة الآخرين، والتحفظ، والاعتدال، والصبر، وضبط النفس، وما شابه ذلك. لأن هذه هي معرفة الله: أن تقتفي آثاره في الاتضاع والفضائل الأخرى. لا يأتي بهذه الأفعال كل إنسان، سوى ذلك الذي تتحلى نفسه بالفهم الروحي" ^(١٠).

"أعرف إنساناً قد أخطأ علانية، لكنه تاب سرّاً" ^(١١)، وبالتالي، مالم تكن أنت فاحص القلوب، ف"لا تدن أحداً، حتى إن رأيت بعينيك، فإنهما كثيراً ما تتخدعان" ^(١٢). بل بالحري ارفع يديك بالصلاة إلى الديان العادل الذي سوف يدين كل أحد حسب أعماله.

"العقل الودود الراجح، يلاحظ بعناية كل ما يراه في الآخرين من فضائل: لكن الجاهل يتفحص الزلات والمناقص" ^(١٣).

"هذا مطلع عاشر، من وطأه فهو فاعل الحب أو النوح" ^(١٤).

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى الأبد. آمين.

(٩) القديس بطرس الدمشقي، خزانة المعرفة الإلهية (من الفيلوكاليا)، مترجم من الإنجليزية.

(١٠) القديس أنطونيوس، ١٧٠ نصاً عن حياة القديسة (من الفيلوكاليا)، مترجم من الإنجليزية.

(١١) القديس يوحنا الدرجي، السُّلَّم إلى الله، الدرجة العاشرة: الوقعة (دير السيدة العذراء - السريان، ٢٠٠٩) ص ١٦٣.

(١٢) المرجع السابق ص ١٦٥. (١٣) المرجع السابق ص ١٦٥. (١٤) المرجع السابق ص ١٦٥.